اللاجئون السوريون ومعاناة الهجرة

دكتور/ أحمد إسماعيل حسن علي – جامعة أنقرة- تركيا•

- **مدخل:**

تأتي أهمية هذا البحث في الوقوف على الواقع المرير، والمعاناة التي يتعرض لها اللاجئون المتجهون إلى أوروبا الفارون من نيران الحروب بالشرق الأوسط كما أنه يهدف إلى طرح الحلول المناسبة؛ لمعالجة هذا الواقع، والعمل على إنهاء هذه المعاناة. لقد أشارت مجلة فورين بوليسي إلى أن المصير المأساوي الذي يلقاه أطفال اللاجئين السورين بعرض البحار وعلى الشواطئ مرده لفشل إدارة أوباما في وقف آلة القتل التي لدى بشار الأسد.

وأضافت أن إدراة أوباما تركت ملايين السوريين عرضة لممارسات النظام القاسية المتمثلة في قصفهم بالبراميل المتفجرة وفي مواصلة حصارهم وتجويعهم وممارسة الإرهاب والعقاب الجماعي ضدهم، وأوضحت أن الواقع المأساوي في سوريا يتمثل في استمرار الأسد بشن حرب لا تنتهي على المدنيين في المناطق الواقعة تحت سيطرة المعارضة، مما يزيد من تدفق اللاجئين إلى أوروبا.

ونشرت مجلة تايم مقالاً للناشطة الباكستانية ملالا يوسفزاي انتقدت فيه ضعف استجابة العالم لأزمة اللاجئين، وقالت: إنها تعتبر استجابة يرثى لها.

وأعربت (ملالا) عن تضامنها مع اللاجئين الذين يعانون جراء ركوب البحار والذين يواجهون شتى أصناف المخاطر وهم يفرون من ويلات الحروب التي تعصف ببلدانهم ويتجهون إلى المجهول عبر دول أوروبا، وقالت ملالا: إن اللاجئين لم يقترفوا ذنباً يجعلهم يستحقون هذه المعاناة القاسية.

إن الموقف العربي مؤسف بكل المعايير الإسلامية والإنسانية والدولية والقانونية.. مؤسف أن نتحرك بعد فوات الأوان، وأن نصل للحلول متأخرين، وقد أتت النيران على الأخضر واليابس، وخفت أوارها بعدما لم تجد شيئاً تأكله، وصارت قطرات الماء التي نحملها نحن العرب لا فائدة منها، فلقد احترق كل شيء ولم يبق سوى دخان يعمي أبصار العميان، الذين وصلوا للنجدة متأخرين.

• Öğr.Gör.Dr. Ank.Üni, İlahiyat Fak Arap Dili ve Belağatı Anabilim Dalı. drahmm@yahoo.com.

- **هجرة الأوطان:**

بين الإنسان ووطنه علاقة رحم مقدسة لا تعرف الانفصام، الوطن كالأم تعيش داخلك ولو لم ترها ولم تعش دفئها واقعاً، إن حب الوطن فطرة إنسانية، ولم تزل الشعوب على اختلاف عقائدها وميولها وأجناسها متفقة على هذه الفضيلة، متجاوبة المشاعر مع هذه الفطرة.

جاء في الأثر قولهم "حب الوطن من الإيمان" وأذكر أن الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- حين همّ بالهجرة إلى المدينة المنورة خاطب مكة يودعها: "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إليّ، ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت." وتحضرني أبيات أمير الشعراء شوقي وهو على ظهر الباخرة يودع مصر منفياً إلى الأندلس، أجتزئ منها:

يا ابْنَةَ اليَمِّ ما أبوكِ بَخِيلٌ مَالَهُ مُولَعٌ بمَنْعٍ وحَبْسِ؟

أَحرَامٌ على بَلابِلِهِ الدَّوْحُ أحلالٌ للطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ؟

وَطَنِي لو شُغِلْتُ بالخُلدِ عنْهُ نازَعتْني إليهِ في الخُلدِ نَفْسي

الوطن ليس تراباً أو قطعة أرض أو داراً وضيعة تباع وتشترى أو تستبدل، الوطن انتماء وامتداد متصل الجذور بالآباء والأجداد والوجود والقيم، ارتباط حميمي بالذكريات والهوية، نَسْغٌ[1] ينسل في عروق إنسانيتنا، ومثلما لا يتيسر أم بديلة للأم الحقيقية تعوض الرائحة والدفء، ترتبط المواطنة بعبق الأرض ونكهة الملح في ترابها، قال هوميروس:" ليس هناك شيء في الدنيا أعذب من أرض الوطن".

فوطن الإنسأ احلي شيء في مكنوناته يزين له الحياة والموت.

و من حق الوطن علينا الحب والوفاء وصدق الولاء، والالتزام بعمق الانتماء، وإذا اقتضى الأمر التضحية والفداء، من حق الوطن علينا أن نكون أمناء على ترابه وكيانه فلا نفرط في سيادته وكينونته، من حق الوطن أن نحمل أمانته ونحفظ كرامته ولا نسيء إلى صورته ولا نشوه سمعته، بتعسف أحمق، قد يصل إلى درجة الخيانة أو الولاء لغيره مهما كانت الأسباب والدوافع؟ يقول السياب:

إني لأعجب أن يخون الخائنون؟

أيخون إنسان بلاده؟

إن خان معنى أن يكون، فكيف يمكن أن يكون؟[2].

قال عمر رضي الله عنه : عَمَّر اللهُ البلدانَ بحب الأوطان.

---

(1) سَائِلٌ يَكُونُ فِي الْخَلِيَّةِ ، كَمَا يَجْرِي فِي أَنْسَاجِ النَّبَاتِ لِتَغْذِيَتِهِ (معجم المعاني- مادة: نَسَغَ).

(2) قيم المواطنة وثوابتها، د. عمران الكبيسي، شبكة البصرة، الأربعاء 29 جماد الأول 1434 هـ/ 10 نيسان2013م .

وقال ابن الزبير : ليس الناس بشيء من أقسامهم (أي ما قسمه الله لهم من الأرزاق والحظوظ) أقنع منهم بأوطانهم.

وقيل : من علامة الرشد أن تكون النفس لبلدها توَّاقة وإلى مسقط رأسها مشتاقة.

وقال بعضهم:

وكُنا ألِفْناها ولم تَكُ مَأْلَفاً

وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

كما تُؤْلَفُ الأرضُ التي لم يَطِبْ بها

هواءٌ ولا ماءٌ ولكنها وطن

وقالت الهند : حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك.

وقالت الفرس : تربة الصبي تغرس في القلب حرمة كما تغرس الولادة في الكبد رقة[3].

ولئن كان هذا الشعور بحب الوطن أمراً فطرياً مركوزاً في النفوس، فإن الدعوة المباركة التي جاء بها النبي – صلى الله عليه وسلم– قد دَعت إليه، وحببت فيه، هذا في عموم الأوطان وعموم الناس، فكيف إذا كان الوطن هو مكة بلدَ الله الحرام، وأحبَّ البلاد إلى الله، وكان المواطن هو محمد بن عبد الله أرق الناس قلباً، وأصفاهم نفساً، وأقربهم مودةً ؟! لقد ظل الشعور بالحنين إلى مكة ملازماً للنبي – صلى الله عليه وسلم–، لا يقدم عليه من مكة قادم إلا سأله عنها، واهتز قلبه شوقاً إليها.

– روى ابن شهاب الزهري قال:

قدم أصَيْلٌ الغفاريُّ قبل أن يُضرب الحجابُ على أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم–، فدخل على عائشة (رضي الله عنها)، فقالت له: يا أصَيْل، كيف عهدت مكة؟ قال:عهدتها قد أخصب جنابها، وابيضت بطحاؤها[4]. قالت : أقمْ حتي يأتيك رسول الله – صلى الله عليه وسلم–. فلم يلبث أن دخل عليه النبي – صلى الله عليه وسلم–، فقال: "يا أُصَيْل، كيَف عهدت مكة؟ " قال: عهدتُها والله قد أخصب جنابها، وابيضَّتْ بطحاؤها، وأعذقَ إذخرها، وأسلب ثُمامُها، وأمْشَر سَلْمُها [5].فقال: حسبك يا أصَيْل! لا تُحْزِنَّا"[6].

(**3**) ينظر: ربيع الأبرار للزمخشري197/1: 198 .

(**4**) أخصب جنابها:أي أخصبت ناحيتها، والجنَاب، بالفتح : الفناء، وما قرب من محلة القوم، والجمع : أجنبة، يقال: أخصب جَناب القوم، وفلان خصيب الجناب، وجديب الجناب، وتقول: مروا يسيرون جنَابيه، أي ناحيتيه (الصحاح للجوهرى 102/1) . والبطحاء، والأبطح : مسيل واسع وفيه دقاق الحصى، وبطحاء مكة: مسيل واديها (انظر:الصحاح للجوهري 356/1،البداية والنهاية134/1 .

(**5**) قال ابنِ الأثير في "أسد الغابة"121/1-122 : "قوله (أعذق إذخرها) : أي صارت له أفنان كالعذوق، والإذخر: نبت معروف بالحجاز. و"أسلب ثُمامها": أي أخوص، وصار له خوص، والثُمام : نبت معروف بالحجاز، ليس بالطويل.

وفي رواية أنه قال له : " يا أصَيْل ، دع القلوبَ تقر"(7).

– ورواه الحسن، عن أبَان بن سعيد بن العاص (رضي الله عنه)، أنه قدم على النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال له: " يا أبَانُ، كيف تركتَ أهلَ مكة؟ " قال: تركتُهم وقد جَيَّدُوا.وذكر نحو حديث أصيل(8).

وكان– صلى الله عليه وسلم– يسمع كلام أصحابه (رضوان الله عليهم) في الحنين إلى مكة، فيرق لحالهم، ويقدّر عواطفهم، ويدعو لهم بأن يحبِّب الله إليهم المدينة كما حبّب إليهم مكة(9).

* اللاجئون السوريون وإهدار حقوق الإنسان:

تُعرِّف اتفاقية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين عام 1951 اللاجئ بأنه:كل شخص يوجد نتيجة أحداث وقعت مثل الحروب أو الكوارث أو اضطرابات أو بسبب تعرضه لخوف ما يعرضه للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتماءه إلى فئة اجتماعية معينة أوبسبب آرائه السياسية ولا يستطيع هو أو لا يريد بسبب ذلك الخوف أن يستظل بحماية بلده. أو هو كل شخص لا يمتلك جنسية ويوجد خارج بلد إقامته ولا يستطيع أولا العودة إليها. وحددت الاتفاقية شروطا معينة لمن يدخل ضمن تعريف اللاجئ، وهي الإقامة أو الوجود الفعلي خارج حدود بلد المنشأ، وجود خوف حقيقي له ما يبرره من الاضطهاد في دولة المنشأ بسبب العرق أو الانتماء القومي، وعدم إمكانية العودة إلي الوطن أو انعدام الرغبة في العودة إلى الوطن لدي الشخص المعني وبالتالي لا تنطبق كلمة لاجئ علي من لم تتوفر فيه هذه الشروط. ومع تفاقم مشكلة اللاجئين في مختلف أنحاء العالم جاء بروتوكول 1967 م بهدف إزالة الحدود الزمنية والجغرافية التي حددتها اتفاقية 1951م في تحديدها لمن يستحق طلب اللجوء ومن يقع على كاهل مفوضية اللاجئين الاهتمام بهم، ويوجد حتى الآن 141 دولة موقعة على الاتفاقية والبروتوكول بالإضافة إلى 4 دول موقعة على الاتفاقية فقط و3 دول على البروتوكول فقط.

ويتعرض اللاجئون السوريون إلى انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان منذ البدء برحلة اللجوء حتى الوصول إلى المخيم أو المكان الذي يلجئون إليه.

وقوله "أمشرَ سَلْمُها": أي أورق واخضرّ.

(**6**) مرسل، ذكره ابن الأثير في "أسد الغابة" 121/1 نقلاً عن ابن عبد البرِ وأبي موسى . وأخرجه الخطابي في غريب الحديث 278/1 بسنده إلى ابن شهاب الزهرى، وعنه "وأمش سَلَمُها" وقال : (هكذا قال الخزاعي، وقال: يريد أنه قد أخرج مُشَاشه وهو ما يخرج في أطرافه ناعماً رخصاً كالمشاش. وهو غلط، وإنما هو" أمشر سَلَمُها "أي أورق واخضر" .

(**7**) عزاه ابن حجر في الإصابة 53/1(213) في ترجمة "أصيل " لأبي موسى في الذيل .

(**8**) ذكره ابن الأثير في "أسد الغابة، 121/1 وقال : "قوله: جَيَّدوا": أي أصابهم الجَود، وهو المطر الواسع ، فهو مجود".

(**9**) الهجرة النبوية درس في حب الوطن، د. عبد الرحمن البر، موقع بيان الإسلام، **http://bayanelislam.net** .

والمطلوب هو احترام حقوق اللاجئين السوريين، التي تتلخص في توفير الحماية من الإعادة القسرية إلى سورية حيث سيتعرضون فيه لخطر الاضطهاد أو انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان. وهذا ما يعرف بمبدأ (عدم الإعادة القسرية) الذي يعتبر الأساس الذي بني عليه قانون اللاجئين. كما تتضمن حقوق اللاجئين الحماية من التمييز، والحق في العمل والسكن والتعليم، والحماية من العقوبة على دخول بلد بصورة غير مشروعة، والحق في حرية التنقل، والحق في الحصول على وثائق هوية ووثائق سفر.

اللاجئون السوريون في الأغلب، مفجوعون هاربون من القتل والاعتقال والإبادة، يحملون صدماتهم ومشاكلهم واحتياجات كثيرة بدءًا من الطعام والشراب والمأوى والملبس، إلى الأمان والحماية والاستقرار، وانتهاءً بالتعليم والثقافة والتربية. والأهم إحساسهم بالخوف والحاجة إلى الحماية. إنهم يحتاجون لدعم يومي كبير، خصوصا في وجود الجرحى والمصابين، وفي افتقارهم إلى الظروف السليمة للغذاء والصّحة.

إن الشروط الحياتية للسوريين المقيمين بالمخيمات وخارجها سيئة جدا، كما أنهم يعيشون تحت ظروف صعبة في منازل يستأجرونها ويتكدس بها أعداد كبيرة منهم. وبالنسبة للذين انفقوا ما أحضروه معهم من نقود، فبالرغم من أنهم حصلوا على أعمال تعينهم على توفير احتياجاتهم الأساسية، إلا أن الأجر الذي يحصلون عليه قليل للغاية مقارنة بالأجور السائدة في السوق، وهذا ما يعني استغلالهم مما يجعلهم لا يلبون احتياجاتهم إلا بصعوبة قصوى. وقد كشفت دراسةٌ مشتركة أجرتها منظمة العمل الدولية مع مؤسسة فافو عن أثر تدفق اللاجئين السوريين على سوق العمل الأردني أن العمال السوريين على استعدادٍ لقبول أجورٍ أدنى وظروف عملٍ أقسى مقارنةً بنظرائهم الأردنيين، وأنهم ينافسون الأردنيين في بعض القطاعات ويؤدون إلى زيادة عدد العمال في القطاع غير المنظم. وأظهر تقرير مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين المعنية بشؤون اللاجئين السوريين في لبنان أن 55 بالمئة من اللاجئين يعيشون في ظل ظروف غير آمنة ويتوزعون بين مرائب[10] للسيارات أو مستودعات أو محلات تجارية أو مخيمات عشوائية.

وقد حاول الآلاف منهم الوصول إلى أوروبا عبر المخاطرة بحياتهم في عبور طرق برية أو بحرية بعد أن دفعوا كل ما يملكون من مدخرات للمهربين. وقد فشل عدد كبير منهم في الوصول. أما الذين نجحوا في ذلك، فهم يواجهون عداءً متزايدًا ويُنظر إليهم كلاجئين على أنهم يشكلون جزءًا من المخاوف الأمنية في جو من الهلع المتزايد.

(10) اسم مكان من رأَبَ : مكان إيواء السيَّارات وضع سيارته في المرأب (معجم المعاني، مادة: رأب).

وقد أسفر الصراع في سوريا عن معاناة بالغة للأولاد والبنات السوريين من جميع الأعمار، سواء جسديًا أو نفسيًا. وهناك أطفال تعرضوا للإصابة أو القتل بطلقات القناصة أو الصواريخ أو القذائف أو تساقط الحطام عليهم. وقد مروا بتجربة الصراع والدمار والعنف بصورة مباشرة.

ويمكن أن تستمر تلك الآثار النفسية المترتبة على مثل تلك التجارب المروعة لفترة طويلة، بما يضر بقدراتهم ومهاراتهم الاجتماعية.

وفي كلٍّ من الأردن ولبنان، يعمل أطفال صغار تصل أعمارهم إلى سبع سنوات لساعات طويلة مقابل أجر ضئيل، وفي بعض الأحيان في ظروف يتعرضون فيها للخطر والاستغلال.

ورغم أن بعض الفتيات يعملن، بصورة خاصة في الأعمال الزراعية والمنزلية، إلا أن الأولاد يشكلون غالبية الأطفال العاملين. وتُعد الضرورة المالية الأساس تمامًا لجميع حالات عمل الأطفال. وفي بعض العائلات، لا يستطيع الآباء إيجاد عمل، ولا يكسبون ما يكفي لدعم عائلاتهم، أو يكونون غير قادرين على العمل لعوائق جسدية أو قانونية أو ثقافية. ويقع عبء هائل على عاتق الأطفال العاملين. فالبعض يتعرض لإساءة المعاملة في محل العمل أو للقيام بأنشطة غير مشروعة أو يقعون في مشكلات تتعارض مع القانون.

وبحسب بيانات المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، هناك أكثر من 2. 4 مليون طفل داخل سوريا خارج المدارس. ومن بين اللاجئين، فإن نصف الأطفال تقريبًا لا يحصلون على التعليم في المنفى. وفي لبنان، يفوق عدد اللاجئين الذين هم في سن المدرسة القدرة الاستيعابية للمدارس الرسمية كافة في البلاد، وهناك 20 في المئة فقط من الأطفال السوريين يرتادون المدارس. ويمكن رؤية أرقام مشابهة في صفوف اللاجئين الذين يعيشون خارج المخيمات في تركيا والأردن[11].

*** توزيع اللاجئين السوريين في سوريا ودول الجوار:**

(**11**) مأساة اللاجئين السوريين وإهدار حقوق الانسان، حسين عبد المطلب الأسرج، الشبكة الدولية (الإنتر نت) ، موقع المختار الإسلامي **http://islamselect.net**-.

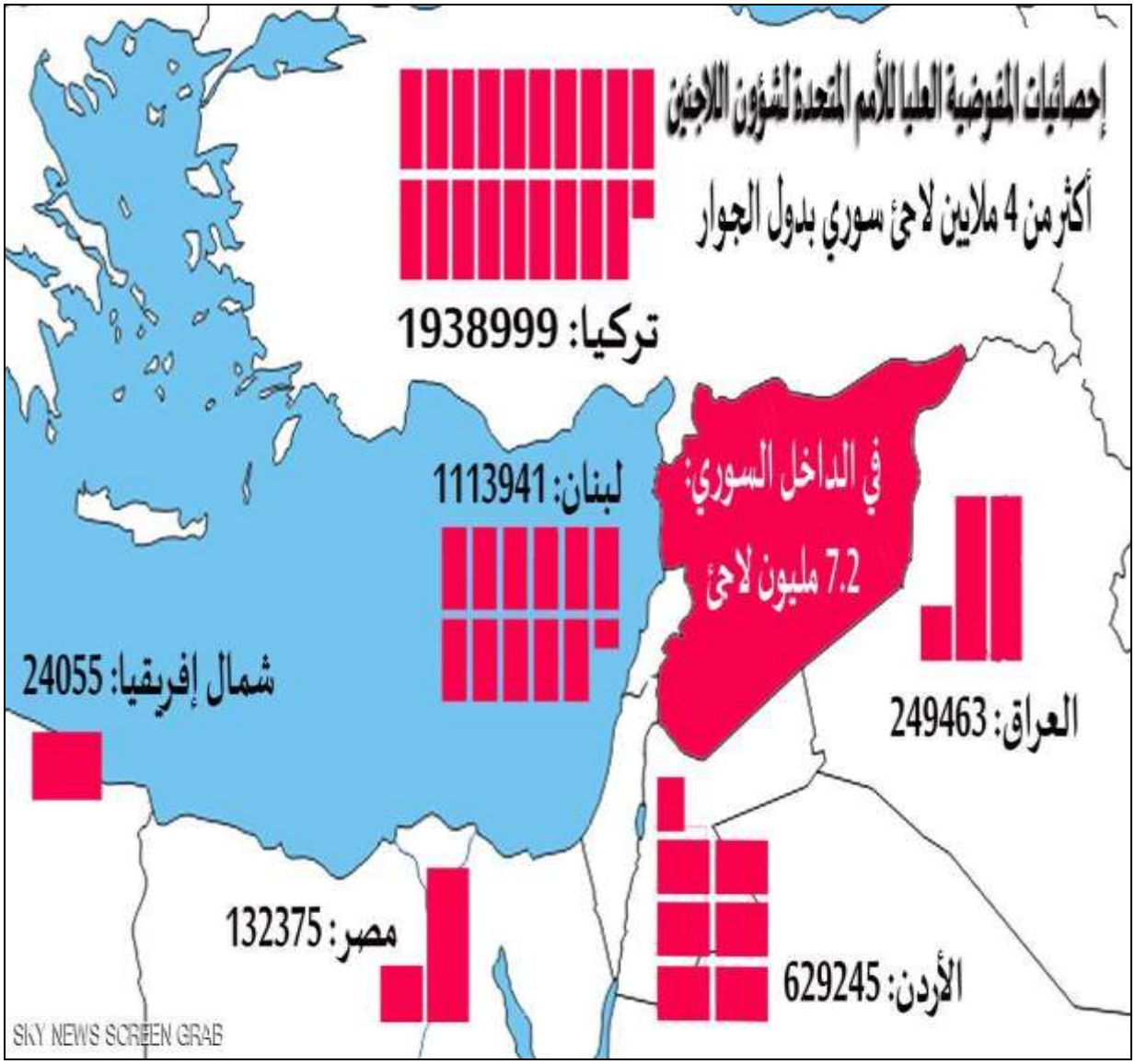

قالت منظمة دولية إن الحرب في سوريا، المستمرة منذ ما يزيد على 4 سنوات، تسببت حتى الآن بتشريد أكثر من 11 مليون سوري، داخل البلاد وخارجها.

وأوضحت المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في إحصائية لها، نشرتها وكالة فرانس برس، أن عدد اللاجئين السوريين في دول الجوار ارتفع إلى أكثر من 4 ملايين لاجئ، الغالبية العظمى منهم في تركيا.

أما في الداخل السوري، فقد بلغ عدد المشردين من قراهم ومدنهم جراء الحرب، 7.2 مليون لاجئ.

ووفقاً لأرقام المفوضية العليا لشؤون اللاجئين، فقد اقترب عدد اللاجئين السوريين في تركيا من مليوني لاجئ، حيث بلغ عددهم حالياً 1938999 لاجئ.

أما في لبنان، فقد بلغ عدد اللاجئين السوريين 1113941 لاجئاً، في حين بلغ عددهم في الأردن 629245 لاجئاً، أما في العراق فقد وصل عدد اللاجئين السوريين إلى 249463 لاجئاً.

وكشفت الأرقام الصادرة عن المفوضية أن عدد السوريين الذين توجهوا إلى مصر بلغ 132375 لاجئاً، في حين توجه 24055 لاجئاً سورياً إلى باقي دول شمال إفريقيا [12].

*** دول تستقبل لاجئين وأخرى تتهرب:**

تسلط الأزمة السورية الضوء على اختلاف سياسة الدول حيال اللاجئين، ومنحهم حق اللجوء من عدمه.

كيف تختلف دول العالم في تعاملها مع أسوأ أزمة لاجئين منذ الإبادة الجماعية في رواندا قبل أكثر من 20 عاماً؟

هذه إجابة سريعة يقدمها خبراء حاولوا فرز البلدان ضمن مجموعات.

دول الجوار.. ملايين اللاجئين.

وفي ما يلي تفصيل للمجموعة الأولى، أي التي تستضيف لاجئين سوريين بأعداد هائلة:

تركيا:حوالي 1.9 مليون .

يأوي هذا البلد ما يقرب من نصف اللاجئين السوريين، ويضم أعدادا أكثر مما يمكنه التعامل معها.

وتأوي تركيا 14 بالمئة من اللاجئين في مخيمات، وتبقى المقصد الأول للاجئين نظرا للحدود المشتركة بين البلدين.

لبنان: 1.1 مليون.

يعتبر تدفّق السوريين كبيرا جدا في لبنان مع تسجيل 1.1 مليون لاجئ سوري، ما رفع بنسبة 25 بالمئة عدد سكان البلاد البالغ عددهم 4.4 مليون شخص.

وفي تصريح للمفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين أنطونيو غوتيريس العام الماضي، يقول "وطأة تدفق مليون لاجئ ضخمة على أي بلد. أما في حالة لبنان، وهو دولة صغيرة تعاني من صعوبات داخلية، فالتأثير مذهل".

الأردن: 629 ألفا.

(**12**) موقع سكاي نيوز عربية، الشبكة الدولية (الإنترنت) أبوظبي، 4 سبتمبر، 2015 ، http://www.skynewsarabia.com .

يوفر الأردن ملجأ لعدد كبير من اللاجئين السوريين والعراقيين والفلسطينيين.

ويعيش حوالي 20 بالمئة من الوافدين السوريين في المخيمات.

ويشكل الوافدون ضغطاً على موارد الأردن، ما يمكن أن "يكون له تأثير سلبي على الرأي العام الأردني تجاه اللاجئين" حسب الأمم المتحدة.

العراق: 249 ألفاً.

قد تحيل فكرة اللجوء السوري في العراق إلى السخرية إن لم يكن إلى العبث، نظرا لتدهور الأوضاع الأمنية في ظل الصراع الطائفي واعتداءات تنظيم الدولة الإسلامية داعش، ما اضطر عراقيين أنفسهم للجوء.

لكن، ليس من المستغرب أن معظم اللاجئين السوريين استقروا في المناطق الشمالية في العراق مثل أربيل، ودهوك ونينوى، الأقرب إلى الحدود السورية وتضم عدداً كبيراً من الأكراد.

ويعيش حوالي 38 بالمئة من اللاجئين السوريين في العراق في مخيمات، وفقاً لوزارة الخارجية الأميركية.

مصر: 132 ألفاً.

في مصر.. لا يعيش أي لاجئ في مخيمات.

في الواقع، عرض الملياردير المصري نجيب ساويرس، أحد أغنى الرجال في الشرق الأوسط، شراء جزيرة للاجئين. وقال إنه يود شراء جزيرة من اليونان أو إيطاليا، ليطلق على الجزيرة المقترحة اسم: الأمل.

أوروبا.. مئات آلاف الطلبات.

في أي البلدان تزداد طلبات لجوء السوريين؟ وكيف تتعامل الحكومات إزاء ذلك؟ سؤال يجيب عليه الخبراء ضمن هذه المجموعة من الدول.

ألمانيا: 99 ألفاً.

تتوقع ألمانيا ارتفاع أعداد طلبات اللجوء التي تسجل حاليا 98.700 للسوريين وحدهم.

وقال نائب المستشارة الألمانية سيغمار غابريال إنه يمكن الوصول إلى 800 ألف طلب لجوء هذا العام، ويمكن للبلد أخذ 500 ألف لاجئ سنويا لأعوام عدة.

السويد: 65 ألفاً.

انضمت السويد إلى ألمانيا في "إظهار مستوى عال" من المسؤولية تجاه أزمة اللاجئين.

وتوافق رئيس الوزراء السويدي ستيفان لوفين مع المستشارة الألمانية أنغيلا ميركل في مؤتمر صحافي على حث الدول لإيجاد حل على نطاق أوروبا لاستضافة اللاجئين.

وقال وزير الخارجية السويدي مارغو والستروم، من جانبه، إن لكل شخص الحق في طلب اللجوء.

فرنسا: 6700

عدد طلبات اللجوء منخفض نسبيا. لكن فرنسا ستزيد العدد بعدما أعلن الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند استعداد بلاده تحمل مزيد من المسؤولية واستضافة 24 ألف لاجئ على مدى العامين المقبلين.

بريطانيا: سبعة آلاف.

من المحتمل أن تشهد المملكة المتحدة نشاطاً ملحوظاً في طلبات اللجوء، بعدما أعلنت استقبال ما يصل إلى 20 ألف لاجئ سوري على مدى السنوات الخمس المقبلة.

الدنمارك: 11.300

رغم تلقيها أعداداً كبيرة نسبياً من طلبات اللجوء السورية، سعت الدنمارك للحد من وصول المزيد من المهاجرين.

وسارعت الدولة إلى وضع إعلانات مدفوعة الثمن باللغة العربية في أربع صحف لبنانية للإعلان عن تشديد القيود، مثل تخفيض المنافع الاجتماعية، في محاولة لكبح جماح اللاجئين دخول الدولة الاسكندنافية.

المجر: 18.800

يفضل الكثير من المهاجرين تقديم طلبات لجوء في دول مثل ألمانيا والسويد والنمسا، واستمرار رحلتهم عبر المجر إلى شمال أوروبا وغربها.

وتحاول الحكومة المجرية وقف تدفق المهاجرين، وأقامت سياجا من الأسلاك الشائكة على طول الحدود مع صربيا لمنعهم من العبور.

وشهدت دول أوروبية أخرى استقبال طلبات لجوء من السوريين، في فترات بين نيسان/ أبريل 2011 وتموز/يوليو 2015، هي إسبانيا، هولندا، النمسا، سويسرا، بلغاريا، إيطاليا، واليونان.

أميركا.. عدة آلاف.

مجموعة ثالثة تضم الولايات المتحدة وكندا، أعطى الخبراء أرقاما وتحليلات حول واقع اللجوء فيها، ومترتبات ذلك على الدولة.

الولايات المتحدة: 1.500

قال مسؤول في وزارة الخارجية إن حوالي 1500 سوري لجأوا إلى الولايات المتحدة، والغالبية العظمى منهم منذ كانون الثاني/يناير الماضي، لكن البلاد تتطلع لزيادة هذا العدد في 2016.

وقالت الأمم المتحدة إن الولايات المتحدة قدمت أكبر حصة من المساعدات للاجئين السوريين، بأكثر من 574 مليون دولار، أو ما يعادل 31 بالمئة من إجمالي المساعدات المتبرع بها.

كندا: 10 آلاف.

منحت كندا أكثر من 2.370 سوريا حق اللجوء منذ كانون الثاني/يناير 2014، ووعدت الحكومة بقبول 10 آلاف لاجئ سوري على مدى ثلاث سنوات.

ومنذ ذلك التعهد، وصل 1074 لاجئا سوريا إلى كندا، وفقا لصحيفة محلية.

الخليج.. صفر لاجئين؟

لا تزال مسألة استقبال دول الخليج للاجئين موضوع جدل احتد مؤخرا إثر انتشار صورة لجثة طفل سوري على الشاطئ بعدما غرق مركب كان يقل عائلته إلى أوروبا.

وتقول الإحصاءات إن عدد اللاجئين في دول الخليج، وتحديدا في السعودية، والإمارات العربية المتحدة، والكويت وقطر والبحرين: صفر.

واعتبر نائب مدير منظمة "هيومن رايتس ووتش" لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، نديم حوري، أن "تقاعس تلك البلدان الخليجية الغنية في الأزمة السورية مخز".

في المقابل، تقول دول الخليج إنها منحت ملايين من الدولارات لمساعدة اللاجئين، تصل إلى أكثر من 500 مليون دولار خلال عامين ونصف العام.

وتضيف هذه الدول أيضا أن السوريين دخلوا أراضي الخليج من خلال تأشيرات دخول واستمروا في العيش هناك.

وفي تعليق على ذلك، قال الإعلامي السعودي داود الشريان إن "السعودية تضم أكبر عدد للاجئين السوريين على مستوى العالم".

وأضاف في مقال له في صحيفة "الحياة" تحت عنوان "رسالة إلى روبرت فيسك"، "إذا كان بعض الدول الأوروبية يتحدث عن بضعة آلاف، فإن السعودية استقبلت منذ بدء الأزمة السورية أكثر من مليون لاجئ سوري، وهذا الرقم لا يشمل عدد المقيمين السوريين قبل الأزمة، كما قدمت الرياض تسهيلات كبيرة للمواطنين السوريين".

***دول غنية أخرى، ماذا تقدم؟**

قال رئيس الوزراء الأسترالي توني آبوت إن بلاده تستقبل 12 ألف مهاجر إضافي من الفارين من الحرب في الشرق الأوسط.

ومن الممكن أن يتضاعف عدد الأشخاص المسموح باستقبالهم في أستراليا من خلال برنامجها للجوء الإنساني، الذي يحدد بـ 13.750 سنوياً.

وقالت منظمة العفو الدولية: إن دولاً أخرى ذات دخل مرتفع، وتحديداً روسيا واليابان وسنغافورة وكوريا الجنوبية، لم تقدم أي إمكانيات لإعادة توطين السوريين[13].

*** مخاطر الحدود البرية والبحرية وكيفية التغلب عليها:**

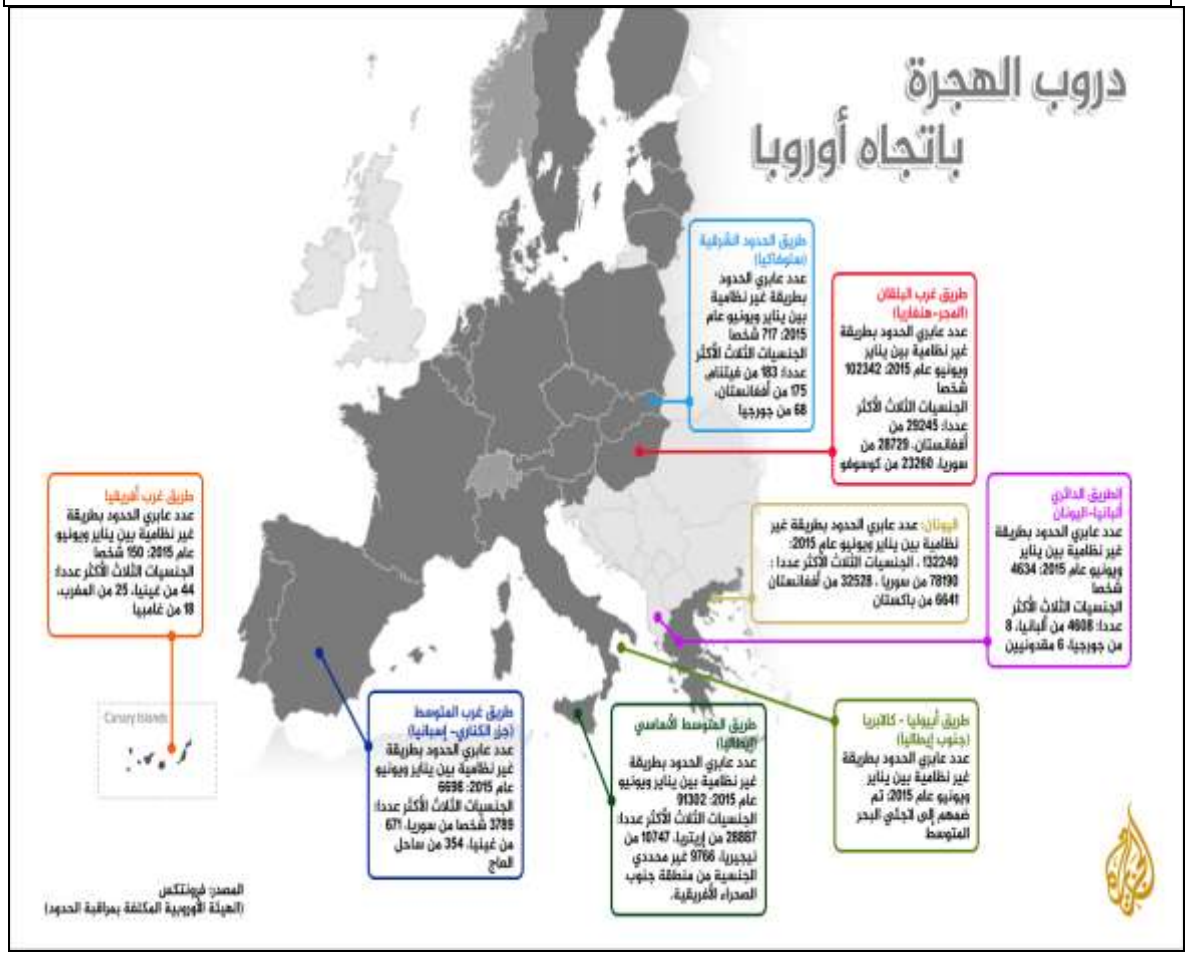

تتعرض حياة اللاجئين إلى الخطر والموت بسبب اعتماد الاتحاد الأوروبي على السياجات وحرس الحدود.

(13) شبكة الشرق الأوسط للإرسال، الشبكة الدولية (الإنترنت)،- 2016-04-21 - http://www.radiosawa.com.

قال مدير برنامج أوروبا وآسيا الوسطى في منظمة العفو الدولية، جون دالهوزين، إن "زيادة السياجات على طول حدود أوروبا لم ينجح سوى في ترسيخ انتهاكات حقوق الإنسان وزيادة وتيرة التحديات المرتبطة بإدارة أزمة تدفق اللاجئين بطريقة إنسانية ومنظمة".

وأضاف جون دالهوزين قائلاً: إن "الاتحاد الأوروبي والبلدان الأعضاء الموجودة في الخطوط الأمامية لحدوده ينبغي عليه أن يفكر وبشكل عاجل في كيفية تأمين وصول اللاجئين والمهاجرين إلى حدوده البرية الخارجية وإلى بلدان الانطلاق والعبور بطريقة آمنة وقانونية.

يمكن تحقيق هذا عن طريق زيادة فرص إعادة التوطين، ولم شمل العائلات، وإصدار التأشيرات لأسباب إنسانية".

*** الحصيلة الثقيلة لسياجات قلعة أوروبا:**

أنشأت الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي أكثر من 235 كيلومترا من السياجات على طول الحدود الخارجية للاتحاد، وكلفت أكثر من 175 مليون يورو، بما في ذلك:

- سياج بطول 175 كيلومترا على طول الحدود المجرية-الصربية.
- سياج بطول 30 كيلومترا على طول الحدود التركية-البلغارية على أن يُضاف إليه في المستقبل سياج بطول 130 كليومترا.
- سياجان بطول 18.7 كيلومترا على طول حدود مدينتي سبتة ومليلية مع المغرب.
- سياج بطول 10.5 كيلومترا في منطقة إفروس على طول الحدود التركية-اليونانية.

ولم تنجح هذه السياجات في صرف الناس عن المجئ إلى الاتحاد الأوروبي، وإنما دفعتهم إلى سلوك طرق برية أخرى أو طرق بحرية أكثر خطورة. وقالت مفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة إن من وصلوا إلى الاتحاد عن طريق البحر في شهر نوفمبر/تشرين الثاني في عام 2015 م بلغ 792883 مقارنة بـ 280000 وصلوا عن طريق البر والبحر معا طيلة عام 2014 م حسب وكالة فرونتكس المكلفة بإدارة حدود الاتحاد الأوروبي. ووصل إلى اليونان هذه السنة عن طريق البحر 647581 شخصا علما بأن 93% من القادمين الجدد أتوا من البلدان العشرة المصدرة للاجئين على الصعيد العالمي، حسب مفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة.

وحتى تاريخ 10 نوفمبر/تشرين الثاني، فقد 512 شخصاً حياتهم هذه السنة في بحر إيجه، كما مات 3500 شخص خلال محاولتهم عبور البحر الأبيض المتوسط.

*** صد اللاجئين وانتهاكات أخرى عند الحدود:**

قال أشخاص حاولوا عبور الحدود مع اليونان وبلغاريا وإسبانيا لمنظمة العفو الدولية إن حرس الحدود صدوهم بدون أن يسمحوا لهم بإتمام إجراءات اللجوء أو منحهم فرصة استئناف قرارات إعادتهم من حيث أتوا، في مخالفة صريحة للقانون الدولي. وغالبا ما تتميز عمليات صد اللاجئين والمهاجرين بالعنف وتُعَرِّض حياتهم للخطر.

ووصف لاجئ سوري يبلغ من العمر 31 عاما عملية الصد التي تعرض لها في أبريل/نيسان من طرف حرس الحدود اليونانية لحمله على العودة إلى تركيا:

"نقلونا إلى ضفة النهر وطلبوا منا أن نجثو على ركبنا. لقد كان الظلام قد حل بالمكان في الساعة الثامنة والنصف مساء. كان هناك أشخاص آخرون تقرر إعادتهم إلى تركيا. أحد أفراد الشرطة ضربني على ظهري...ثم ضربني على رجلي ورأسي بعصا خشبية كان يحملها في يده. نقلونا بالقرب من النهر وطلبوا منا أن نكون هادئين وألا نتحرك. عزلوني عن المجموعة وأخذوا في ضربي بأياديهم وركلي بأرجلهم وأنا طريح الأرض. أمسكوني من شعري ودفعوني باتجاه النهر".

وأظهرت بحوث أجرتها منظمة العفو الدولية أن عمليات الصد على حدود اليونان وتركيا أصبحت روتينية، كما أن عمليات الصد على حدود بلغاريا وتركيا تظل ممارسة مستمرة.

وفي مارس/آذار 2015، تبنت إسبانيا تشريعا جديدا يهدف إلى تقنين عمليات صد المهاجرين واللاجئين التي يقوم بها الحرس المدني الإسباني في مدينتي سبتة ومليلية وهما مدينتان إسبانيتان تحاذيان المغرب لمنعهم من الدخول إلى إسبانيا. وفي سبتمبر/أيلول الماضي، أنشأت المجر مناطق عازلة على حدودها مع صربيا لإعادة طالبي اللجوء من حيث أتوا بعدما سرعت إجراءات اللجوء التي شابتها ضمانات مشكوك فيها.

وقال جون دالهوزين إنه "حيثما توجد السياجات، تقع انتهاكات حقوق الإنسان.

لقد أصبحت عمليات صد طالبي اللجوء غير القانونية ممارسة أساسية في الحدود الخارجية للاتحاد الأوروبي الموجودة في الممرات الرئيسية التي يسلكها المهاجرون، ولا أحد يبذل أي جهد لمنعهم من المخاطرة بحياتهم".

وأضاف جون دالهوزين أن "تقنين الدخول إلى الاتحاد الأوروبي شيء، ومنع اللاجئين شيء آخر تماما. الإجراء الأول معقول وشرعي بينما الإجراء الثاني غير إنساني وغير قانوني ويجب أن يتوقف".

لجأ الاتحاد الأوروبي والدول الأعضاء فيه وبشكل متزايد، في محاولة أخرى لمنع المهاجرين من الوصول إلى الأراضي الأوروبية، إلى بلدان وسيطة لتقوم بدور حارس بوابات الاتحاد الأوروبي.

*** حراس بوابات" الاتحاد الأوروبي":**

تتواطأ قوات الأمن المغربية مع نظيرتها الإسبانية في إساءة معاملة اللاجئين في محاولتها لمنعهم من تسلق السياج الذي يفصل سبتة ومليلية عن أراضي المغرب. ولا تزال الإصلاحات التي أقرها المغرب بشأن طلبات اللجوء تنتظر الدخول إلى حيز التنفيذ.

وقال جون دالهوزين إن "الاتحاد الأوروبي لا يجب أن يطلب من الدول التي لا يمكن أولا تحترم حقوق الإنسان الخاصة باللاجئين والمهاجرين مساعدته في القيام بالعمل القذر نيابة عنه. يجب أن تحظى الدول المجاورة له بالمساعدة في إنشاء أنظمة لجوء وإقامة مراكز استقبال. ولا يجب أن يُعهد إليها بحماية حدود الاتحاد الأوروبي في تجاهل واستخفاف بحقوق اللاجئين والمهاجرين".

*** الاتحاد الأوروبي يضاعف دعمه للبنان في ضبط الحدود:**

مع إعلان النمسا أنها في صدد تعزيز ضبطها لحدودها الجنوبية، وخصوصا تلك المحاذية لدول أوروبا الشرقية، باتت تطرح أكثر من علامة استفهام حول تداعيات هذه الخطوة على موقف برلين، تزامنا مع الدفع الذي تسعى ألمانيا إلى إعطائه للمفاوضات التركية – الأوروبية، للحد من الهجرة والانتقال غير الشرعي للمهاجرين. ووقت تدفّق أكثر من مليون سوري في اتجاه أوروبا والجوار خلال العام الفائت، هربا من حرب حصدت أكثر من 260 ألف قتيل، حتى الآن، بات الاهتمام الأوروبي منصبا على تعزيز ضبط الحدود والمعابر الشرعية وغير الشرعية لدول الجوار الأوروبي، وفي مقدمها لبنان، الذي يحتضن أكثر من مليون لاجئ ومهاجر غير شرعي، غالبيتهم من السوريين والفلسطينيين.

على هذه الخلفية، أتى قرار الاتحاد الأوروبي بزيادة قدرات "مشروع الإدارة المتكاملة للحدود في لبنان" والذي ينفذ بالتعاون مع الأجهزة الأمنية والرسمية اللبنانية، علما أن هذا القرار يتزامن والحرب المتواصلة التي تخوضها القوى المسلحة اللبنانية على الحدود الشرقية والشمالية ضد الارهاب، ولاسيما تنظيمي "النصرة" وداعش"، فضلاً عن النزاع اللبناني– الإسرائيلي المستمر حيال الترسيم جنوباً.

-ومع مواصلة التركيز على عمليات رفع مستوى أفواج الحدود البرية، يبدو أن في جديد المرحلة الثانية، برامج لضبط الحدود البحرية والمرافئ. ومعلوم أن المرحلة الأولى من المشروع كانت أطلقت في تشرين الأول 2012م، مع مبلغ ناهز 5 ملايين يورو.

يذكّر الأوروبيون بالدعم الذي قدمته الحكومة الهولندية لإدارة الهجرة غير النظامية عبر الحدود اللبنانية البرية وضبطها، من خلال تمويل بعض نشاطات المشروع. وهم يتحدثون، في هذا الاطار، عن "تقدم ملحوظ"

أحرزه ضباط الأفواج الحدودية البرية التابعة للجيش وعناصرها، عكسه التطور في عمليات رصد الأفراد من ذوي النية الجرمية إضافة إلى العابرين إلى لبنان من سوريا في شكل غير شرعي. وكان زار لبنان وفد من وكالات إدارة الحدود التابعة للحكومة الهولندية، بغية تدريب ضباط الجيش والأجهزة الأمنية على أمن الوثائق، الأمر الذي سمح برصد الوثائق المزورة، وسهّل استخدام تقنيات تشخيص المخاطر في رصد المهاجرين[14].

*** توصيات موجهة إلى الاتحاد الأوروبي:**

– يستطيع الاتحاد الأوروبي ويجب عليه أن ينفذ سلسلة من الإجراءات القابلة للتنفيذ والواقعية بهدف معالجة أزمة اللاجئين العالمية، وضمان حماية مئات الآلاف من الأشخاص الذين وصلوا إلى البر الأوروبي.

قال جون دالهوزين إن "أزمة اللاجئين العالمية تمثل تحدياً هائلاً بالنسبة إلى الاتحاد الأوروبي، لكنها تظل بعيدة كل البعد عن أن تمثل خطراً وجودياً على الاتحاد.

– ينبغي على الاتحاد أن يتعامل مع أزمة اللاجئين والمهاجرين باستلهام القيم التي ينادي بها وليس بالتصرف تحت تأثير الخوف وإقامة السياجات".

*** تدعو منظمة العفو الدولية الاتحاد الأوروبي والدول الأعضاء فيه إلى ما يلي:**

– فتح طرق آمنة وقانونية بما في ذلك زيادة فرص إعادة التوطين، ولم شمل العائلات، و إصدار تأشيرات وأذونات قبول أشخاص لأسباب إنسانية.

– ضمان وصول اللاجئين إلى الأراضي الأوروبية، ومراكز البت في طلبات اللجوء في الحدود البرية الخارجية للاتحاد.

– إنهاء عمليات الصد والأشكال الأخرى من انتهاكات حقوق الإنسان عند الحدود، ولاسيما من خلال التحقيق الفعال في المزاعم المتعلقة بالإساءة إليهم على الصعيد الوطني، وبدء المفوضية الأوروبية إجراءات رصد حالات خرق قانون الاتحاد الأوروبي.

– زيادة عدد مراكز الاستقبال بشكل كبير، وتقديم مساعدة إنسانية على المدى القصير إلى البلدان الواقعة في الخطوط الأمامية للجوء والهجرة.

– تسريع وتيرة مشروع إعادة توطين طالبي اللجوء وزيادة حجمه[15].

---

(14) جريدة النهار، 21 أبريل/ نيسان 2016 – السنة 83 – العدد 25958 – http://newspaper.annahar.com.

(15) منظمة العفو الدولية – www.amnesty.org.

*** التوصيات العامة:**

وأخيراً فمشكلة اللاجئين ليست مشكلة سوريا والشرق الأوسط فقط. بل هى مشكلة تستدعي تدخل العالم أجمع. حيث إن المأساة الإنسانية التي يتعرض لها السوريون بسبب اضطرارهم إلي الهجرة تعد مشكلة تواجه العالم أجمع. فالهجرة الجماعية والمأساة الإنسانية وصلت إلى مرحلة تشكل خطرًا علي أمن واستقرار المنطقة والنظام العالمي. وفي هذا الإطار فإن التفكير بأن حل الأزمة السورية يكمن في دعم دول الجوار فقط سيؤدي إلي تفاقم الأزمة، حيث إنه يجب على أعضاء النظام الدولي أيضاً أن يقوموا بدورهم في إيجاد حل للأزمة السورية. ويجب تقديم الدعم إلي دول الجوار التي تأثرت بشكل كبير نتيجة نشوب الأزمة السورية.

وأن أي سياسة للتعامل مع اللاجئين ولا تنوي دمجهم لابد أن تراعي تشريعاً يجسد هدفين:

الأول: الحد من التفاعلات الصراعية في المجتمع بين اللاجئين والمواطنين وهذا لن يتحقق إلا بضمان الكرامة الشخصية للاجئين الشرعيين من خلال منحهم الحقوق الكاملة للاجئ حتى يخرج من البلاد . والثاني: هو إعطاء اللاجئ غير الشرعي الحقوق الأساسية التي لا تهدر آدميته كإنسان.

أما الأمر الثاني: الذي يجب مراعاته هو أن اختيار الدول المضيفة لسياسة الدمج المحلي للاجئين له شروطه القانونية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بمعني توفير كافة الفرص التي تتيح الحياة الكريمة للاجئين في سياق اقتصادي يسمح لهم بالاعتماد علي أنفسهم وإطار قانوني متكامل وإطار ثقافي يقبل التنوع، كما يتمثل بعض من هذه الشروط في تبني الحكومة المضيفة لهذه السياسة وجود إطار كفء وفعال وعادل للتعاون بين الدول المضيفة ودول الشمال تمهيدا لهجرتهم إلي البلد الثالث وفقا لخطط المفوضية.

المصادر والمراجع

موقع سكاي نيوز عربية، أبوظبي، -http://www.skynewsarabia.com.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، دار ابن حزم، د ت.
- البداية والنهاية، ابن كسير، دار ابن كثير، دمشق — بيروت.
- الصحاح للجوهرى- إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين.
- الهجرة النبوية درس في حب الوطن، د. عبد الرحمن البر، موقع بيان الإسلام، الشبكةالدولية(الإنترنت). http://bayanelislam.net .
- جريدة النهار، الشبكة الدولية(الإنترنت)نيسان 2016 - السنة 83 - العدد 25958 .

.http://newspaper.annahar.com
– ربيع الأبرارونصوص الأخبار– للزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط. أولى، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، 1412هـ - 1992م.
– شبكة الشرق الأوسط للإرسال، الشبكةالدولية(الإنترنت)،– 21-04- 2016 - . http://www.radiosawa.com
– قيم المواطنة وثوابتها، د. عمران الكبيسي، شبكة البصرة، الأربعاء 29 جماد الأول 1434 هـ/ 10 نيسان2013م .
– مأساة اللاجئين السوريين وإهدار حقوق الانسان، حسين عبد المطلب الأسرج، الشبكة العنكبوتية، موقع المختار الإسلامي – http://islamselect.net.
– معجم المعاني– نسخة إلكترونية على الشبكة الدولية (الإنترنت).
– منظمة العفو الدولية – www.amnesty.org.